دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر
المصدر:	الآفاق
الناشر:	جامعة الزرقاء
المؤلف الرئيسي:	عربيات، عبداللطيف
المجلد/العدد:	س 4 , ع 11
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2004
الشهر:	محرم / آذار
الصفحات:	9 - 21
رقم MD:	18248
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch, EcoLink, IslamicInfo, HumanIndex, AraBase
مواضيع:	وسائل الاعلام، الإعلام ، الشريعة الإسلامية، وسائل الإتصال، الفقه الإسلامي، البحث العلمي، الدعوة الإسلامية، الإسلام والسياسة، العبادات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/18248

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر

د.عبداللطيف عربيات
رئيس مجلس الأمناء / لجامعة الزرقاء الأهلية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله ومن سار على نهجه وأخذ بسنته واقتدى بهديه إلى يوم القيامة..

مقدمة :

عندما كلفتني مؤسسة شومان المقدرة أن أكتب تحت هذا العنوان محاضرة إلى نخبة من أبناء هذا البلد المرابط جال بخاطري العديد من الأفكار حول صورة الرسالة التي يمكن أن تقدمها مثل هذه المحاضرة في هذا الموضوع وفي هذا الوقت بالذات من عمر الأمة وحياتها المعيشة الآن ولمثل هذا الجمع الطيب من الأخوة والأخوات .

فكرت ابتداءً بالمرجعيات الأساسية التي انطلق منها لتقديم صورة النموذج الممثل لهذا الخطاب مبنى ومعنى وهو ما جاء في كتاب الله المعجز في هذا الميدان وسنة نبيه الكريم التي أعطت الشرح والتفصيل والتطبيق العملي والنموذج والقدوة لمن يتصدى لمثل هذا الموقف زماناً ومكاناً ...

وجال بخاطري أقوال وأفعال المجددين عبر التاريخ الإسلامي الذين أخذوا على عاتقهم التجديد لدين الله في عصور متعاقبة ومتجددة تحتاج إلى خطاب فيه تجديد أمر الدين وعرضه على أجيال الأمة في مختلف العصور مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم «يبعث الله على رأس كل مئة عام للمسلمين من يجدد لهم دينهم أو يجدد لهم أمر دينهم» .

وفي هذا الميدان نظرت في أقوال العلماء الكبار وكتاباتهم وفي خطابات التجار والزوار الذين سلكوا كل المسالك في البر والبحر وعلى مدى الكرة الأرضية قاطبة، فكان منهم التجار الحضارمة الذين وصلوا أندونيسيا وبلغوا الرسالة بلغتهم وسلوكهم فكانت أكبر دولة إسلامية في العالم .

ووصلت بالنهاية إلى كتابات المعاصرين الذين تصدوا لهذا الموضوع في هذا الزمن الذي نعيش بكل مكوناته وتعقيداته ومفارقاته ومنهم الأخوة الأساتذة الكبار د.كمال أبو المجد د.محمد عمارة، ود.اسحق أحمد فرحان، ود.ناصر الدين الأسد وغيرهم كثير.

كما فكرت ملياً في طبيعة العصر الذي نعيش، الإنسان وتأهيله واستعداده للاستقبال أو الإرسال

لرسالة السماء كي تخترق حجب المعيقات والتشويهات المتعمدة التي وضعها وعلى مدار قرون مستشرقون متخصصون وصلوا عمق الفكر والسلوك والحياة العامة والخاصة للأمة، ومبشرون هيئت لهم الأموال الطائلة والأساليب الهادفة والمصممة والمستعمرون الذين قسموا الأرض وفكر الإنسان ووجهوا الأمور لصالحهم وضد الأمة مضافاً إلى ذلك المنظمات السرية التي فتكت بالبنية التحتية فكراً وسلوكاً وممارسة للحكام والمحكومين .

وبعد التفكير المتدبر فيما يجب أن يكون عليه خطابنا الإسلامي المعاصر رأيت أن آخذ بعين الاعتبار وأشير إلى الأمور التالية لكل من يود الكتابة في هذا الموضوع :

أ. وضوح المفاهيم وتحرير المصطلحات :

وضوح الفكر، وسعة وعائه اللغة، وانطباق رموزه، والمفاهيم والمصطلحات من متطلبات الخطاب الإسلامي الذي يحقق الهدف ويوصل الرسالة بصورة واضحة وسهلة ومعبرة .

ب. فقه الواقع ووسائل العصر ...

التغيير المستمر في أنماط الحياة ومتطلباتها تستدعي المعرفة بالواقع المعيش وحاجات الناس القائمة والمنتظرة ليكون الرأي والفقه متفقاً مع المقاصد المشروعة، كما أن التغير الهائل في ميادين الاتصال التي يعبر عنها بالمرسل ومواصفاته والمستقبل ومتطلباته وواسطة النقل وتقنياتها بحاجة إلى استيعاب لمعطيات ثورة الاتصالات والمواصلات العالمية والثورة المعرفية والتقنية التي يعيشها العالم وكيفية تسخيرها لتحقيق أهدافنا .

ج. نحن والآخر وحقيقة طريق المعادلة :

يركز الخطاب الذي يحقق الهدف على نقاط القوة ونقاط التميز وعناصر التكامل مع الصورة الكلية موضع الاهتمام. ومعرفة الذات وما يمكن أن نضيفه أو تتميز به أو تتكامل معه يعطي الخطاب الاهتمام ويساعد على القبول والأخذ به. وكذا ما لدى الطرف الآخر من هذه العناصر التي تساعد منشئ الخطاب في صياغة خطابه وإبراز ما يمكن أن يضيفه ويلقى القبول لدى الآخر .

د. منهج خطاب الفقه الجماعي :

تتطلب قضايا العصر المراد معالجتها بالخطاب وكذ طبيعة الخطاب ومواصفاته وتغير الحياة ووسائل الاتصال والتوصيل إلى اختصاصات متقدمة وتكامل بينها لتؤدي المهمة وتحقق المطلوب وتتلاقى جوانب النقص البشري في الإعداد .

هـ. إبراز أصالة التميز والتجديد :

جاء الإسلام نظاماً شاملاً للحياة وفي إطار فلسفة واضحة عن الكون والحياة والإنسان، أكد على الوحدانية المطلقة لله وحده وأنه لا شريك له، ويبين سنن الله في خلقه في التسخير والاستخلاف والأعمار والتدافع والتجديد والإصلاح على مدى الحياة الإنسانية ومتطلباتها.

وأكد كذلك على وحدة الأمة وكرامة الإنسان وحريته وحقوقه وأنه خاتمة الرسالات السماوية معترفاً بها وشاملاً لكل مكوناتها الأصيلة وقائماً بدورها محققاً لأهدافها في الحياة الإنسانية الواحدة وأنه للبشر كافة ورحمة للعالمين. كما بين صفات الأمة الوسط الشاهدة على الناس والشاهد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلف الإنسان بمهمة التجديد والإصلاح على مدار الحياة الإنسانية حتى يرث الله الأرض وما عليها إن إبراز هذه السمات والميزات هي من مهمة الخطاب الإسلامي وغاياته وبناء النموذج الإسلامي المتجدد لأجيال الأمة الخالدة .

أ. وضوح المفاهيم وتحرير المصطلحات :

اللغة وعاء الفكر وحاضنة المفاهيم والرموز والمصطلحات الحاملة للمعاني والأفكار التي يهدف الخطاب إلى إيصالها للمستهدفين والمعنيين بصورة واضحة ومُبينة للأهداف والغايات. واللغة مبنى ومعنى ناظمة للمفاهيم والمصطلحات في عملية بناء صورة ومكونات الرسالة في الخطاب الهادف المبين. وللمفاهيم والمصطلحات وجهان متلازمان ودالان على واقع الترابط وتوسعتها وتهذيبها من أجل الوصول إلى الرأي الصحيح والحقيقة المنشودة.

لهذه الأسباب أعتبر أن وضوح المفاهيم وتحرير مصطلحاتها لغة واصطلاحاً هو حجر الزاوية في أداء مهمة التعريف بالخطاب السياسي الإسلامي المعاصر موضوع هذه المحاضرة. وقد استعنت بأهل الاختصاص في اللغة العربية ومن المشهود لهم في هذا الميدان في عملية التحرير اللغوي والاصطلاحي إيماناً مني بأهمية منهج الفقه الجماعي ومشاركة أهل الاختصاص كل في ميدانه ومجال إبداعه للوصول إلى القول السديد الذي يوفر الحقيقة ويبين الهدف بصورة جلية وواضحة.. ولهذا عملنا على تحرير مصطلحات ومفاهيم الخطاب والسياسي والإسلامي والمعاصر بصورة منفردة لكل منها من أجل تجلية الصورة الكاملة لكل منها لغة واصطلاحاً والربط بينها لتكامل المعنى والصورة لها جميعاً .

١. مصطلح الخطاب ومفهومه :

تشير الدلالة اللغوية لكلمة خطاب بأنه الكلام المباشر بين الناس وهو الرسالة الموجهة من طرف إلى آخر، وقد وردت في القرآن الكريم بهذه الصيغة في ثلاث آيات :

- وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (ص-٢٠)

- فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب. (ص-٢٣)

- رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا. (النبأ- ٣٧)

وفصل الخطاب هنا يعني ما ينفصل به الأمر من الكلام الواضح الجلي، ويعني الحكم بالبينة أو باليمين أو بالفقه الصحيح ويعني كذلك الفصل بين الحق والباطل .

والفعل الأساسي لكلمة الخطاب هو - خطب الناس وخطب فيهم وخطب عليهم خطابةً وخطبةً ألقى عليهم خطبةً. ومن الجمع بين المعنى اللغوي والاستعمال القرآني يتبين لنا ما يلي:-

أولاً - الخطاب في الإسلام هو خطاب مباشر، وهو خطاب مواجهة شجاعة حرة. وخطاب المواجهة يستنفد ما عند الإنسان من فكر ومن رأي لأن تبادل الأفكار في أثناء الحوار يطوّر الأفكار ويوسعها ويهذبها ويصل بها إلى الرأي الصحيح.

ثانياً - الخطاب في الإسلام يهدف إلى نشر الحقيقة بعد التوصل إليها بطرق البحث والحوار الهادف. وليس الخطاب في الإسلام مجرد تظاهر بالمعرفة والثقافة أو مضيعة للوقت.

ثالثاً - الخطاب في الإسلام خطاب صادق، ثابت مدعم بالبراهين والأدلة قائم على البينات الصادقة، لأن الخطاب الذي يقوم على الأدلة الثابتة الصادقة يكون قوياً ومحققاً للهدف منه.... يقوم الله عز وجل:

- «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا...»

- «أنه لقول فصل، وما هو بالهزل.....»

- «وهدوا إلى الطيّب من القول وهدوا إلى صراط الحميد....»

- «فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور....»

- «وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ❖ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون....»

رابعاً - الخطاب في الإسلام خطاب للذين آمنوا، فعبارة (يا أيها الذين آمنوا) وردت أكثر من مئتي مرة في القرآن الكريم وهي تشريع وتشريف لهم.

- «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة....»

- «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام.....»

- «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم....»

- «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا....»

- «يا أيّهَا الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا....»

خامساً - وهو خطاب لأهل الكتاب:

- « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله».

- «يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله.....»

- «يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله...»

سادساً - الخطاب في الإسلام للناس جميعاً وفق حاجات الدعوة والتبليغ والهداية....

- يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم

- يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم

- يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم

ودعوة الله عز وجل للناس جميعاً تدل على:وحدانية الله عز وجل، ووحدة الدين عند الله - وأن الإنسان حيثما كان في الدنيا هو جنس واحد من حيث صلاحيته لتلقي هذا الدين وصلاحية الدين لإقامة حياته.

٢- مفهوم مصطلح السياسي:

السياسة في المعنى اللغوي كما جاء في لسان العرب:

السَّوسُ : الرياسة، يقال ساسهم إذا رأسهم وسوّسوه وأساسوه إذا رأّسوه.

وساس الأمر سياسة قام به، والجمع ساسة وسُوّاس

قال الشاعر:

سادة قادة لكل جميع ساسة للرجال يوم القتال

ويقال سُوِّس الرجلُ أمور الناس إذا مُلّكَ أمرهم...

وجاء في أساس البلاغة : الوالي يسوس الرعيّة، ويسوس أمرهم.

وجاء في القاموس المحيط: سست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها وفلان مجرب قد ساس ....

وسُوّسَ فلانُ أمورَ الناس صُيّرَ ملكاً....

وفي الحديث الشريف: كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم، أي تتولى أمورهم، كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية.

والسياسة إذن - القيام على الشيء بما يصلحه.....

والسياسة في عرف المسلمين الأولين كانت منوطة بالإمامة أي بالخلافة.

يقول الماوردي:

- الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا-

أما السياسة في الاصطلاح الغربي الآن فهي فن الحكم والرجل السياسي هو الذي يمارس أعمال الإدارة المدنية وهو الحاكم الرسمي الموجه والناصح. ونستنتج من ذلك ما يلي:

- السياسة هي فن الحكم ورعاية شؤون الناس في دينهم ودنياهم (أي القيام على الشيء بما يصلحه).

- والسياسة واجب يقوم به قادة الأمة وأمراؤها وحكامها، ويفترض أن ساسة الأمة يحرصون على مصالح الناس وهم مؤتمنون عليها....

- والسياسة في الإسلام تحرص على تنظيم شؤون الناس في الدنيا بمراعاة مصيرهم في الآخرة، وبهذا فهي تقوم على اعتماد الأحكام الدينية والأوامر الإلهية في رسم الخطط الدنيوية لصالح الدنيا والآخرة.... والسياسة في المفهوم الغربي بالمقابل تقتصر على حكم الناس في الدنيا ولا تُعنى بشؤون الآخرة / وهذا ما يعبر عنه بفصل الدين عن الدولة وأفكار العلمانية والليبرالية وغيرها....

٣- مفهوم مصطلح الإسلامي:

أصل المعنى اللغوي من الفعل الثلاثي (سَلِمَ) أي سَلِمَ من الآفات ونحوها سلاماً وسلامة: برئ وسلم له الشيء خلص.

وإذا صار الفعل متعدياً (أَسْلَمَ) فمعناه: انْقَادَ، وأخلص الدين لله، ودخل في دين الإسلام، ودخل في السِّلْم ومصدر الفعل (أسلم) هو الإسلام.

ومعناه: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الدين الذي جاء به محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويستفاد من هذا التحليل اللغوي:

- أصل الإسلام هو البراءة والنزاهة وإخلاص الأمر والنية لله. والإسلام الدين الحق ولا يتم للمرء إلا إذا أخلص النية والعمل بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- وإن الإسلام دين الله في كون الله لأن الكون بتقدير الله وتدبيره برئ من العيوب، وكامل ومنظم يسير وفق قواعد وسنن وقوانين ثابتة لا تتأخر ولا تتخلّف ولذلك:

- فالإسلام موجود قبل خلق الإنسان.

- والإسلام دين الله في الكون (إن الدين عند الله الإسلام) والأرض جزء منه.

- ولابد أن يكون للإنسان منهج ملائم لمنهج الأرض حتى يكون التعامل صحيحاً وصالحاً وتاماً.

- ولهذا فقد أنزل الله الإسلام ديناً للإنسان في الأرض خاتمة للرسالات السماوية جميعها شاملاً ما فيها... والإسلام دين كل الأمم والشعوب منذ آدم حتى الساعة.

- والإسلام هو الدين الذي تصلح به الحياة كما صلح به الكون واكتمل، وكل نقص في الحياة أو فساد هو دليل على نقص في تنفيذ الإسلام.

- ودعوة الإسلام دعوة عالمية للكون كله وللناس جميعاً.

- والداعية المسلم الواعي هو الذي يحسن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في ظروف الإنسان وفي الأمم والشعوب المتوالية ويقوم بتوجيه الخطاب الواضح المبين لأهداف الإسلام ورسالته.

٤- مفهوم مصطلح المعاصر:

المفهوم مأخوذ في الأصل من الفعل الثلاثي: عَصَرَ

- عصر الشيء، يعصرُه عصراً: استخرج ما فيه من دهن أو ماء أو نحوه.

- وأعصر: دخل في وقت العصر.

- وعاصر فلانٌ فلاناً: لجأ إليه ولاذ به - وعاش معه في عصر واحد.

- والعَصْرُ: الدهر والزمن وآخر النهار عند احمرار الشمس.

- والعصران: الغداة والعشيّ، والليل والنهار. والمعاصرة إذن - أن يحيا بعض الناس أو الأمم والشعوب معاً في وقت واحد.

- وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الزمن و الدهر مرة واحدة في قوله تعالى «والعصر ❖ إن الإنسان لفي خسر ❖ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

ويستدل من هذه السورة من العصر والمعاصرة على ما يلي:

- إن التشريع الذي أنزله الله للإنسان (كل الإنسان) مرتبط بالعصر كله (أي بالزمن والدهر كله) وليس هو تشريع مؤقت أو محدد بزمن أو بأمة واحدة من الأمم.

- إن الإنسان بشكل عام خاسر إذا لم يلتزم دين الله.

- إن الدين أنزل لكي تقوم به الجماعات لا الأفراد فقط بدليل قوله تعالى (إلا الذين آمنوا)

- إن الدين يقوم على التعاون والتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

- إن الدعوة إلى الله دعوة مستمرة ودعوة فيها تعب وفيها معاناة مستمدة من الفعل (تواصوا) الذي يدل على المشاركة والاستمرار لأنه فعل مضارع ويجب على الداعية أن يصبر عليها، وأن يتواصى

الناس بالصبر عليها.

- وإن الدين ثابت على مدى العصور لأن قول الله سبحانه (إلا الذين آمنوا) مع قوله تعالى (والعصر) دليل على تلازم الإيمان والإنسان على مر الأزمان والعصور.

وفي التعقيب على هذا الفصل (تحرير المفاهيم والمصطلحات) لابد من أن نشير إلى أن خطابنا السياسي الإسلامي المعاصر يعاني من معيقات كثيرة يجدر بالمعنيين به مرسلين أو مستقبلين ملاحظتها.

فالمرسل وهو الخطيب أو الداعية عليه التدقيق في ماهية الخطاب ومقوماته ومنهجيته في الأداء واختيار العبارات التي تجمع ولا تفرق وتنسجم مع الهدي النبوي في التعبير والوسطية في الاختيار والأداء «خير الناس النمط الأوسط يلحق به التالي ويعود إليه الغالي (المغالي) ويحذرنا صلى الله عليه وسلم من الغلو «إياكم والغلو» «وبشرا ولا تنفرا» فهذه منهجية الرسول والرسالة فعلى الجميع ملاحظتها والاقتداء بها.

وعلى المستقبلين من الطرف الآخر وخاصة من أبناء الأمة المخدوعين بأفكار المناوئين أو الجاهلين أو الجاحدين لحقيقة الإسلام وموقع السياسة فيه بأنها القيام على الشيء بما يصلحه وأنها بهذا من صميم دعوة الإسلام وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأن مفاهيم فصل الدين عن الدولة ولا سياسة في الدين وحتى لا دين في السياسة مفاهيم غريبة عن الإسلام ولا مكان لها في مفاهيمنا ومصطلحاتنا كتاباً كريماً وسنة نبوية شريفة. وإن الإسلام للناس كافة وأنه رحمة للعالمين وأنه دين الله خالق الأرض والسماء والإنسان والحياة...

ب.فقه الواقع ووسائل العصر:

تعيش أمتنا نتائج فجوة تاريخية توقف فيها العطاء الفكري والثقافي وتخلت فيه عن مشروعها الحضاري الذي قاد العالم قروناً طويلة. وكان من ملامح هذا التوقف عدم القدرة على الاستمرار في القيام بما يصلح أحوال الأمة وسياسة أمورها بجدارة ونجاح. ونتيجة لذلك أيضاً فقد ضعف أو توقف الاجتهاد والفقه الواقعي الذي يقود عمليات التغيير والإبداع في شؤون الحياة كافة.

وبالمقابل فقد تقدم العالم وقاد ثورات معرفية وتقنية وخاصة في مجالات المواصلات والاتصالات العالمية وفر لديها الإمكانات الهائلة لتقود عملية التغيير في ميادين الإعلام والاقتصاد والسياسة والقوة العسكرية. فتكون لديها إعلام عملاق طوق العالم بخطابه المؤهل للوصول إلى كل زوايا الكره

الأرضية مستخدماً كل الوسائل المتاحة للهيمنة على عقول الأجيال المعاصرة وتوجيهها لخدمة سياساته واقتصادياته وقيمه الاجتماعية ناهيك عن السلطة والنفوذ العسكري الذي أصبح يهدد العالم بما لديه من إمكانيات ومقدرات مادية وثقافية.

إن التقدم العلمي و التقني والإبداع في جوانب الحياة العامة وخاصة في استخدام وسائل العصر المتقدمة في إيصال الخطاب الهادف والموجه لصالح الشعوب جعلهم في مقدمة ركب الحضارة وصنع فجوة كبيرة بينهم وبين من بقي في عزله عن هذه الإمكانات والوسائل المتاحة لمن يحاول الأخذ بها وتطويعها لصالحه.

إن من علامات التقدم والنجاح هو الأخذ بأسباب ومعطيات الحضارة المعاصرة والتصدي لأسباب البحث الجاد في واقع الحياة من اجتهاد ومراس فكري وإعداد للكوادر الشعبية وتأهيلها لقيادة مجتمعاتها نحو التقدم والعطاء.....

إن فقه الواقع الذي يقوده المجتهدون المبدعون و المؤهلون الذين ينظرون بكفاءة لواقع الحياة ومتطلباتها وحاجات المستقبل ومكوناته ويأخذون بأسباب العصر ومتطلباته منطلقين من خصوصياتهم الفكرية والقيمية هو الذي يوفر للأمة أسباب النجاح وتجاوز العثرات والمعيقات، وأداء الرسالة بأمانة واقتدار.

ج. نحن والآخر وحقيقة طرفي المعادلة :

لكل أمة من الأمم دورها الخاص بين الأمم تتاح لها فيه المجالات اللازمة لعرض ما لديها وأخذ دورها في بيان حاجة الآخر لها.

وتتوافر لها الفرص للسيادة والقيادة إن هي أخذت بالأسباب وأفادت مما يتاح لها من دور حضاري تبرز فيه أفضل ما لديها وهذه سنة كونية مقررة «وتلك الأيام نداولها بين الناس» وهذه المداولة بين الأمم تتفاوت في مددها وكم ونوعية عطائها «ولكل أمة أجل» وبذلك تظهر الحضارات وتبيد بناءً على عوامل وشروط موضوعية.

وتتميز الأمم فيما بينها بنظامها الفكري والفلسفي ونظرتها إلى الكون والحياة والإنسان ورسالتها الإنسانية لبني البشر أخذاً وعطاءً.

كما تتميز أيضاً بقدرتها على صنع الجانب المادي للإنسان وتقدمه العلمي التقني بما يوفر له جوانب الحياة المادية المتقدمة كما هي الحضارة المادية المعاصرة التي يقودها الغرب في هذه الحقبة الزمنية التي نعيشها اليوم.

والتميز في إحدى الميزتين المذكورتين أو بكليهما هي مدار التنافس بين الحضارات تاريخياً. فالفكر والفلسفة والقيم الإنسانية الشاملة يقابلها العطاء المادي الذي يلبي حاجات الإنسان المادية أو ما يسمى بالميزة الثالثة وهي الجمع بين الميزتين المشار إليهما بصورة متوازنة وبما يحقق التقدم المادي الذي تحكمه قيم إنسانية تجعل القوة ضمن إطار هذه القيم الإنسانية لصالح البشرية عامة وليس واحدة على حساب الأخرى ...

إن البشرية بعامة بحاجة إلى تعريف بهذه العروض الثلاثة التي يمكن أن تقودها حضارة أو أخرى، هي مجال التنافس بين الخطابات الإعلامية القادرة على إيصال هذه الرسالة للناس كافة وإعطاء الناس فرصة الاختيار لما فيه صالحهم وخيرهم في الدنيا والآخرة..

إن أمتنا العربية والإسلامية لديها ما يمكن أن ندخل به السباق بين الأمم حول تميزها التاريخي والموضوعي بين الحضارات وقدرتها على صياغة حضارة متميزة تجمع بين الروح والمادة وتحكمها قيم إنسانية تسخر مقومات الحضارة لصالح الإنسان من حيث هو إنسان وليس لصالح عنصر أو فئة أو قوة مسيطرة بالقوة على مقومات الحياة كلها .

فهل ينجح إعلامنا وخطاباتنا في عرض هذه الصورة ونفوز بالقبول والتأييد من الآخرين الذين يرون رأينا ويأخذون بقيمنا الإنسانية الشاملة لأمور الدنيا والآخرة ونجمع بين الروح والمادة .

د. منهج فقه الخطاب الجماعي :

يعيش العالم اليوم تقدماً هائلاً في حقول المعرفة كافة، ويتضاعف حجم المعرفة في بعض الميادين كل عقد من الزمن أو أكثر بقليل، وهذا الأمر اقتضى دخول العلم والعلماء إلى الاختصاصات الدقيقة في جميع مناحي الحياة سواء كانت علوماً طبيعية أم أدبية إنسانية. وعلى ضوء ذلك قلّت ميادين المعرفة الموسوعية التي عرفت بها البشرية في العهود السابقة وخاصة الحضارة الإسلامية حيث اختلف الناس في وصف ابن سيناء هل هو طبيب زمانه أم فيلسوف ذلك الزمان .

إن التخصصات الدقيقة لا تستطيع حل جميع المشكلات التي يواجهها الإنسان في حياته اليومية لأن طبيعة بعض المشكلات تحتاج إلى جلسات عمل مشتركة لأصحاب الاختصاصات ذات العلاقة لحل تلك المشكلة أو اتخاذ قرار معين بشأنها تشخيصاً وعلاجاً.

وقد امتد هذا المنهج ليشمل كل الاختصاصات في الطب والهندسة والزراعة والصناعة وغيرها. كما التحقت بها حقول المعرفة الأخرى الإدارية والسياسية والاقتصادية والشرعية حيث شكلت

المجالس الفقهية والشرعية لتعطي الرأي الجماعي فيما يعرض عليها وهو ما يمكن تسميته بالفقه الجماعي.

وقد اقتضت طبيعة الأداء في المؤسسات الفكرية والحزبية العمل بروح الفريق ضمن أطرها الإدارية حيث تقوم بتكليف لجان مختصة لإعداد الرأي والموقف المطلوب ويدرس ويمحص ثم يصدر باسم المؤسسة أو الحزب الخطاب الذي يمثلهم ويكون منه الرأي جماعياً وممثلاً لكل المنضوين تحت تلك العناوين أو المؤسسات ، والخطاب الجماعي سمة حضارية وضرورة اجتماعية علمية يجدر الأخذ به فيما يصدر عنا من مواقف وآراء وأن يشرك أهل الاختصاص به حتى يكون الرأي والموقف والخطاب ممثلاً وسوياً .

جاءت مجموعة من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ينزل فينا الأمر لا نجد له جواباً في كتاب ولا سنة فماذا نصنع..؟ قال عليه السلام «اجمعوا العالمين منكم ولا تقطعوا برأي واحد» .

وهذا ما يجب أن تكون عليه حال الأمة في مواجهة مستجدات الحياة ومتطلباتها، وما يكون عليه حال مؤسسات المجتمع المدني التي تواكب تقدم المجتمعات وتتحقق فيها مبادئ الشورى والديمقراطية .

هـ. ملامح الخطاب الذي نريد :

يتعرض الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر إلى عملية تقويم شاملة سواء على المستوى المحلي العربي والإسلامي أو على المستوى العالمي ومن كافة المستويات الشعبية أو الرسمية المؤسسية أو الفردية. حيث قامت عشرات الجامعات العالمية بعقد الندوات وإقامة الدراسات المتخصصة على المستوى الدراسي للماجستير والدكتوراه لتحليل الخطاب وتقويمه من كافة الوجوه سواء على مستوى الأهداف أو المحتوى أو مدى القبول لدى الناس وأسباب ذلك .

كما أن الحالة الظرفية التي تعيشها منطقتنا في هذه الأيام من استهداف خارجي واحتلال عسكري وهيمنة اقتصادية وسياسية وعسكرية جعلت منها نقطة اهتمام وموضع دراسات تحليلية لكل مكونات الأمة الفكرية والمادية وفي مقدمة ذلك كله خطابنا المعاصر المعبر عن وجودنا وواقعنا وأهدافنا وتطلعاتنا .

كما أن أمتنا على أبواب عملية نهوض حضاري يطرح نفسه كبديل لما هو سائد ومهيمن وهذا يجعل الأمر أكثر اهتماماً عند جميع المعنيين الذين يدرسون الواقع الماثل للعيان وفي مقدمته خطاب الأمة المعبر عن نواياها وتطلعاتها للنهوض ودحر العدوان .

إن خطاباً بهذه الأهمية وبهذا الموقع الحساس وفي منطقة متفجرة كمنطقتنا يجب أن يتصف بمعايير دقيقة ومدروسة، وأن يكون عوناً لأهداف الأمة لا عليها وأن يعطي الصورة الصادقة والمطلوبة لكافة المستويات والمواقع على المستويين الداخلي والخارجي. وعلى ضوء ذلك أرى أن يتصف هذا الخطاب بالملامح والمواصفات التالية :

١. أن يكون واضحاً ومعبراً عن حقيقة أهداف الأمة من حيث التزامها بفكرها ومشروعها النهضوي والحضاري. وأن يرسم بالوضوح المطلوب صورة مطالب أبناء الأمة وأوليات قضاياها المصيرية حيث إن ذلك هو المخرج الوحيد لإخراج أمتنا وقضايانا المصيرية من حالة الوهن وزوال المهابة إلى حالة المطالب المؤيدة من ضمير الأمة وقواها الحية .

٢. أن يكون جامعاً لكل أبناء الأمة الواحدة على كلمة سواء فيها تلتقي الطاقات الخيرة من جميع القادرين على الأداء ويتم من خلاله حشد مقدرات الأمة المادية والمعنوية لمواجهة التحدي الذي يتهدد المصير كله، وأن يتجاوز كل المعيقات التي نصبها الأعداء لمسيرتنا وأن يرفض التخندق تحت الشعارات الفئوية والعرقية والمذهبية والمصلحية الجهوية وأن يرتفع فوق ذلك كله ويناشد كل المخلصين الارتقاء إلى مستوى المسئولية وأداء الأمانة المطلوبة .

٣. أن نخاطب الآخر بأقصى درجات العناية والحكمة والدقة في النص المعد لهذه الغاية وبنفس الوقت الوضوح والمصداقية التي تعزز الثقة وتزيل ركام التشويه الذي صنع على مدار قرون خاصة عند الغرب الذي يتحدى وجودنا، وثقافتنا وقيمنا. كما يخاطب ذلك الآخر بما هو في صالحه ويبرز معاني الخير الذي يقدمه الإسلام للبشرية كافة وبما هو مكمل لما يملكون من جوانب حياتية متقدمة .

٤. أن يبرز حقيقة فكر الأمة في الوحدة والحرية ودور الإنسان في بناء نظام حياته حسب معتقداته وقيمه ومحافظته على حقوق الإنسان من حيث هو إنسان وبغض النظر عن الجنس أو اللون أو المعتقد. وأن يبرز دور القيم الإسلامية الشاملة لكل بني البشر وأنه الدين السماوي الخاتم للرسالات السماوية معترفاً بحقيقتها حاملاً لرسالاتها مؤيداً لأنبيائها «لا نفرق بين أحد من رسله» .

٥. أن يكون متوازناً ووسطياً بمعنى مبيناً عن الخيرية التي ميّز الله سبحانه وتعالى فيها الإسلام والتي وردت في كتاب الله العزيز : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» .

وقد حذر رسولنا الكريم من الغلو والمغالاة ودعانا إلى التبشير والتيسير وأن نبرز الأخلاق والقيم التي دعا إليها الإسلام وألا تسود عليها همزات العجب والغرور عند الأفراد أو المجموعات وباسم

نصرة الإسلام وتأييده .

٦. أن يأخذ بكل وسائل العصر المتاحة ويستخدم حصيلة التجربة الإنسانية في الإرسال والاستقبال وطريقة التوصيل فيما يخص التقنيات وثورة المعرفة في المواصلات والاتصالات العالمية لأنها أصبحت أداة العصر في الأخذ والعطاء وإبلاغ الرسالة .

٧. أن يبرز دور جميع المواطنين في عملية النهوض للأمة وخاصة دور المرأة نصف المجتمع وأن يوضح أن رسالة الإسلام هي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وأنه فريضة على المرأة والرجل. وأن يتعامل بفهم عميق مع مخلفات فترة غياب المشروع الحضاري الإسلامي الذي ساهم في إيجاده وعطائه الرجال والنساء وكل أفراد المجتمع على حد سواء .

٨. أن يكون ذا طابع تجديدي يلتزم بالفكر الحضاري للأمة وأن يأخذ بكل أسباب الإبداع والعطاء في كافة الميادين وأن يحمل رسالة الإصلاح التي ترعى شؤون الأمة العامة والخاصة التزاماً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«يبعث الله على رأس كل مئة عام للمسلمين من يجدد لهم دينهم» «أو يجدد لهم أمر دينهم» ونلاحظ هنا عامل الزمن وموضوع التجديد وهذا يؤكد الإبداع والعطاء وبشكل مستمر .

وأن يبرز وبشكل واضح أن من متطلبات التجديد الأخذ بفكرة التعددية ومنطلقات التداول في السلطة كأرضية واجبة لمؤسسات المجتمع المدني المعاصر وميادين العمل العام كافة.

والله الهادي إلى سواء السبيل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته